الدلالة الصوتية

علم الأصوات : علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة ، فهو فرع من علم اللغة ، ويتميز عن غيره من فروعها بأنه يعني بجانبها المنطوق فقط ، كما أنه يعني بأدق وأصغر الوحدات الدلالية في اللغة ، والأصوات أصل طبيعة اللغة ، والكتابة لاحقة عليها ، فهي رمز الصوت وتجسيد مادي له .

وتقسم أصوات اللغة على نوعين ، هما الصوامت والصوائت ، الصوامت : الأصوات التي تتعلق بمخرج معين يعترض الهواء الصادر من الحنجرة حين أداء الصوت المراد اختباره ، ويشكل هذا النوع معظم أصوات العربية ، ويمثله جميع أصوات العربية عدا الحركات القصيرة Short Vowels (الفتحة ، الضمة ، الكسرة) والحركات الطويلة Long Vowels (أصوات المد الساكنة : الألف والواو والياء) .

والأصوات الصائتة هي التي لا يعترضها عضو من أعضاء النطق أو لا تنطق بمخرج صوتي يثني النفس (الهواء الصادر من الحنجرة) عن امتداده ، فيكون الصوت أثناء نطقها ممتداً حراً لا يعوقه عائق حتى ينفذ ، ويمثل هذا النوع أصوات المد أو اللين أو العلة (الألف ، الواو ، والياء حال سكون الواو والياء) ، وتعد الحركات القصيرة أبعاض هذه الأصوات أو جزء منها ، لكنها لا تبلغ مقدارها من ناحية الطول ، وكم الهواء المندفع ، وهذان النوعان (الصامت والصائت) يشاركان في الدلالة أكثر من الحركات القصيرة .

والدلالة الصوتية تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة ، وتسمي بالعناصر الصوتية الرئيسية ، والتي يرمز إليها بالحروف الأبجدية : أ ، ب ، ت ....، ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي [1] .

---

(1) الحرف Graph رمز مخطوط أو مطبوع يقوم مقام صوت أو مقطع أو معنى كالحروف الأبجدية في اللغات الحديثة أو الرموز الهيروغليفية . ويدخل هذا في مادة الكتابة Graphic وهي الحروف التي تكتب بها لغة من اللغات ، وتقابلها المادة الصوتية ، ويسمي الواحد منها رمز حرفي Graphic symbol .وألفاظ اللغة تبنى من أصواتها التي يرمز إليها بحروف كتابية .

وتتحقق كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء ، وتسمي بالعناصر الصوتية الثانوية . وتعد هذه العناصر أكثر إسهامًا في الدلالة من العناصر الصوتية التي تصاحب الكلمة المفردة .

ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأولي أو الصوت التركيبي Segmental Phoneme [1] . وهو أصغر وحدة صوتية .

ويضمنون هذا القسم قسماً آخر سموه بالصوت فوق التركيبي Plurisegmantac Phoneme أوSuprasegmental Phoneme وهو ما يطلق عليه الصوت الثانوي Secondary [2] وهو ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي ، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبية . [3] وليست

---

(1) يشمل الصوت التركيبي ما يسمي بالسواكن والعلل ، وهي تعد جزئيات صوتية تستخدم في تركيب الحدث الكلامي . دراسة الصوت اللغوية ، الدكتور أحمد مختار عمر . عالم الكتب 1411 هـ ، 1991 م ص 219 .

(2) اختلف العلماء حول الأصوات فوق التركيبية في اللغة العربية هل هي عناصر ثانوية كما قال علماء الغرب أم هي عناصر صوتية أساسية مثلها مثل الأصوات القطعية والتي تتمثل في الصوامت consonants والصوائت vowels التي تتمثل في الحركات أو أصوات اللين في اللغة العربية (وتنقسم إلى حركات قصيرة وهي الفتحة ، الضمة ، الكسرة ، وحركات طويلة وهي ألف المد وواو المد وياء المد) ، وأري أن العناصر فوق التركيبية (النبر ، التنغيم ، المفصل ، الطول) لا تدخل في تركيب أصوات الكلمة ، لأنها ليست صوتًا رئيسًا من أصواتها .

(3) الدلالة الصوتية قد تكون ذات دلالة وظيفية مطردة ، وقد تكون دلالة صوتية غير مطردة ، فالدلالة الصوتية المطردة هي التي تعتمد على مواقع الأصوات ، وهذا باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ حتى يحدث تعديل أو تغيير في معاني هذه الألفاظ ، فلكل صوت مقابل استبدالي يحل محله، ويحدث تغيراً في الدلالة ، مثل : مرّ وعرّ ، ونفر و نفذ ، فتغيير الحرف أو استبداله بغيره أحدث اختلافاً في الدلالة .

والحركات كذلك ذات وظيفة استبدالية وتحدث تغيراً في الدلالة مثلها مثل الحروف ، فالحركة صوت في الكلمة وجزء لا يتجزأ منها ولهذا تعد صوتًا منها ؛ لأنها تنطق صوتيا مصاحبة نطق الصوت الأولي ولا تنفصل عنه ، وإن كتبت منفصلة عنه في الخط . فالحركة في اللغة العربية من العناصر الصوتية =

بصوت رئيس بل صوت ثانوي يصاحب الصوت الرئيس ، وتسمي العناصر الصوتية فوق التركيبية كذلك بالمصاحبات اللغوية Paralinguistic أو السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي Vocal-performance ، وهي ما يعرف بين اللغويين بالسلوك اللغوي Verbal-behavior الذي يتمثل في دراسة بنية اللغة الصوتية ، وما يصاحبها من عناصر صوتية تشارك في الدلالة وتؤثر في المستمع .

وتتمثل المصاحبات اللغوية أو السمات شبه اللغوية في ثلاثة أنواع :[1]

النوع الأول : السمات التحبيرية الصوتية Prosodic Features ويعرف كذلك بالتطريز الصوتي Prosody ، وهي التي تصاحب الكلام أو الخطاب المنطوق ، وتتمثل في: النبر Stress ، والتنغيم Intention والوقفات أو السكتات الكلامية أو الفواصل Pauses ،

= الأساسية وليس من المظاهر التطريزية أو البروسودات Prosodies (المظاهر التطريزية) . ويري الدكتور مجاهد أن النبر والتنغيم يدخلان كذلك ضمن وحدات التركيب الصوتية Phonemes، وليست ظواهر تطريزية ؛ أو ثانوية . ارجع إلى الدلالة اللغوية عند العرب ص 166 ، 167 .

وعد فيرث الحركات العربية (الفتحة ، الكسرة ، الضمة) من قبيل البروسودات Prosodies أي مظاهر تطريزية ، لأنها في نظره تتصل بأكثر من وحدة صوتية ، فهي من الملامح الصوتية الثانوية ، وعد كذلك النبر والتنغيم من هذه العناصر الثانوية غير التركيبية ، لأنها لا تدخل في التركيب الصوتي . وهو ما يخالف واقع اللغة العربية ، وأري أن الحركات تعد جزءاً من بنية الكلمة ؛ لأنها تصاحب الحرف أو الصوت في الأداء ، ومن ثم فهي من قبيل العناصر الأساسية لمشاركتها في البنية الصوتية، وحركات الإعراب ، والنبر ، والتنغيم ، والوقفات ، والطول لا تدخل في تأليف البنية الصوتية للكلمة ، ولكنها تظهر في الأداء فقط وفي تركيب الجمل ، ولهذا تعد من العناصر الثانوية ، ولكن نبر الكلمة يعد جزءاً من العناصر الأساسية لمشاركته في بنيتها الصوتية ، وهذا دون نبر الجملة.

(1) اهتمت بعض الدراسات اللغوية والنفسية والاجتماعية ، والأنثربولوجية بدراسة السلوك غير اللغوي Non-Verbal behavior المصاحب للأداء الكلامي الذي يتمثل في التعبيرات الجسمية Body expressions والتي تعرف بمصطلح (Kinesics) الحركات الجسمية ، والتعبيرات الصوتية Voice expressions . والتي تعرف بمصطلح Paralinguistic المصاحبات اللغوية أو السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي . دكتور كريم زكي حسام الدين : الدلالة الصوتية ، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل . مكتبة الأنجلو المصرية ط 1/ 1412هـ ، 1992م . ص 15، 16 .

ومعدل الأداء الكلامي Tempo ، ودرجة الصوت Pitch وصفته وقوته volume [1].

النوع الثاني : الأصوات غير الكلامية non-speech sounds أو الفضلات الصوتية vocal segregates مثل : الضحك ، والبكاء ، والصراخ ، والتأوه ، والنحنحة ، والسعال ، والغمغمة ، وغير ذلك من الأصوات التي تصاحب الأداء الكلامي في الخطاب المنطوق وتشارك في الدلالة أو يفهم المستمع منها معنى [2] .

النوع الثالث : الأصوات غير الإنسانية non-human sounds مثل : أصوات الحيوانات ، ومظاهر الطبيعة مثل : صوت الرياح وأصوات الكهوف ، وحفيف الهواء بالأشجار وغير ذلك بالإضافة إلى الأصوات الصناعية مثل : أصوات الآلات والأجراس والأبواق التي تستخدم للدلالة على معان معينة .

وتقوم دراستنا على النوع الأول الذي يرتبط مباشرة باللغة ، وهو العناصر الصوتية التي تشارك في الدلالة .

ويعد ابن جني رائد دراسة الدلالة الصوتية قبل أن يتوسع فيها علم اللغة الحديث ، فقد اكتشف ابن جني وجود صلة بين بعض الأصوات وبين ما ترمز إليه ، وأول ما حداه بهذا الاكتشاف تسمية بعض الأشياء بأصواتها ، كالخازباز لصوته .والبط لصوته ، والواق للصُرَد لصوته ، وغاق للغراب لصوته ، ونحو : حاحيت ، وعاعيت ، وها هيت إذا قلت : حاء ، وعاء ، وهاء ، ونحو: بسملت ، وهللت ، وحولقت ، كل ذلك وأشباهه إنما يرجع في اشتقاقه إلى محاكاة الأصوات ، والأمر أوسع .

وذهب ابن جني إلى أبعد من هذا ، وهو دلالة الصوت (الفونيم) في الكلمة على المعني ، وقد رأي بعض المحدثين أن هذا الرأي تمعراً ، وبعضهم حبذا هذا الوجه ودعا إلى التوسع فيه ، ولكن ابن جني لم ير هذا الرأي مطلقاً بل خص به بعض الأصوات في بعض

---

(2) دكتور كريم زكي حسام الدين : الدلالة الصوتية ص 17 .

(3) الدلالة الصوتية ص 17 .

الأبنية ، وأنه بناه على ملاحظته الشخصية ولم ينقله عن غيره ، قال: "ومن طريف ما مر بيّ في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها ، ولا يحاط بقاصيها ، ازدحام الدال ، والتاء ، والطاء ، والراء ، واللام ، والنون . إذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير ، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما" .

واحتج ابن جني لما رآه من دلالة هذه الأصوات على الوهن والضعف بكلمات وردت فيها مثل : "الدالف للشيخ الضعيف ، والشيء التالف ، والطليف ، والظليف المجان ، وليست له عصمة الثمين ، والصنف والطنف لما أشرف خارجاً عن الغباء وهو إلى الضعف ، لأنه ليست له قوة الراكب الأصل ، والنطف : العيب ، وهو إلى الضعف ، والدنف المريض .... "، ومثل : "الترفة ، والطرف ، والطرف أضعف من قلبه وأوسطه ، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: 41] .ومثل الفارط أي المتقدم المنفرد . ومثل : الفتور : الضعف ، الرفت الكسر ، والرديف، لأنه ليس له تمكن الأول . وغير ذلك من الكلمات التي جاءت فيها أصوات الدال أو التاء أو الفاء أو الراء أو اللام أو النون مع صوت الفاء ، الذي جاء قسيماً لهذه الأصوات في بعض الكلمات للدلالة على الوهن والضعف ".[1]

ورأي ابن جني أن هناك أصواتاً أقوي في المعني من غيرها : " وكذلك لها دلالة تميزها عن قسيمتها في معظم الأصوات مثل : قضم وخضم ، فقضم تستخدم في اليابس ، وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف" .[2] ومثال ذلك أيضاً : صعد ، وسعد ! صعد لصعود الأشياء المحسوسة مثل : صعد الجبل والحائط ، وسعد في الأشياء المعنوية مثل : سعيد الجد أي عالي القدر . وعلل ذلك بقوة الصاد وضعف السين ، والمحسوسات أقوي من المعنويات ، فتطلب التعبير عنها الأصوات القوية " والدلالة اللفظية أقوي من الدلالة

---

(1) الخصائص جـ 2/ 110 .

(2) الخصائص 1/ 65 طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

المعنوية "[1].

واستشهد ابن جني على قوله هذا بـ" النضح " ، و" النضخ " والنضح للماء ونحوه، والنضخ أقوي من النضح ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝﴾ [الرحمن: 66] فجعلوا الحاء – لرقتها – للماء الضعيف والخاء لغلظتها – لما هو أقوي منه"[2].

ومثال ذلك : القد والقط ، القد للقطع طولاً ، والقط للقطع عرضاً ، فالطاء تفيد السرعة ومن ثم استخدمت في قطع العرض ، والدال استخدمت في قطع الطول ؛ لأنها تفيد المماطلة والطول[3].

وعرض ابن جني أمثلة كثيرة من اللغة تبين دلالة الصوت في الكلمة . وتناول ابن جني الأصوات التي تضاهي بأجراسها حروف أحداثها ، مثل : شدّ ، جرّ ، ومثل : فتح ، فرح ، خلق ، خسر .

ورأى كذلك أن الألفاظ متقاربة الأصوات توحي بدلالات ومعان متقاربة ، فالمعاني المتقاربة ذات ألفاظ متقاربة ، وقد عبر ابن جني عن ذلك بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني . وقد قسمه إلى :

كلمات تتفق في الحروف وكلمات تتفق في بعضها وما اتفق في بعض الحروف مثل : رخو ، ورخود ، فهما متفقان فاء وعيناً ومختلفان لاماً الأول من : رخ و ، والثاني من رخ د . والرخو هو الضعيف ، والرخود : التثني الذي يرجع إلى معني الضعف[4].

---

(1) نفسه 1/ 161 .

(2) الخصائص 2/ 158 .

(3) نفسه .

(4) قامت الدراسات الغربية الحديثة ببحث دلالة الحرف أو الصوت في الكلمة ، وهي الدراسة التي سبق إليها ابن جني ، وقد اختلف علماء العربية المحدثين حول طبيعة هذا البحث ، فبعضهم يري أن ما ذهب إليه ابن جني يعد نوعاً من التكلف الذي لا يقوم على أساس واضح ، ويعد مبالغة ، ويري فريق آخر =

ومثل : أزَّ وهَزّ قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿﴾[مريم: 83] أي تزعجهم وتقلقهم ، وهذه الدلالة نجدها في : تهزهم هزاً ومثل وصف صوت الفرس : صهل ، وسحل ، فالصاد أخت السين ، والهاء أخت الحاء من حيث المخرج .

ولم يقض ابن جني بحتمية هذا الرأي بل طرحه أمام العلماء ليبحثوه ، فقد أنهى أطروحته هذه بقوله : "الآن قد آنستك بمذهب القوم فيما هذه حاله ، ووقفتك على طريقه، وأبديت لك عن مكنونة ، وبقي عليك أنت التنبيه لأمثاله ، وإنعام الفحص عما هذا حاله ، فإنني إن زدت على هذا مللت وأملت . ولو شئت لكتبت من مثله أوراقاً مئين ، فأبه له ولاطفه ، ولا تجف عليه فيعرض عنك ولا يهأبك .[1]

وقد توسع ابن جني في هذا المبحث ، فبحث دلالة الأصوات كواحدات مستقلة ، ودرس الكلمات المتشابهة صوتياً والعلاقة الدلالية التي قد تنشأ نتيجة اشتراكها في معظم الأصوات أو تقارب الأصوات وتشابهها في الكلمتين ، ودرس كذلك العلاقة الدلالية بين الكلمات التي تشترك في الأصوات وتختلف في ترتيبها مثل : جبذ ، وجذب ، وهو ما أطلق عليه اسم الاشتقاق الأكبر الذي يقوم على تقليب الأصوات .[2] وسنبين هذه الجوانب مفصلة في موضعها من الكتاب إن شاء الله.

واستفاد علماؤنا المعاصرون من كتب المتقدمين وزاد انتفاعهم بها عندما اطلعوا على مناهج الغربيين وبحوثهم التي اعتمدت على العلوم الحديثة وأدواتها .

= أن هذا البحث يعد خطوة متقدمة في مجال البحث الصوتي سبقت الدراسات الغربية الحديثة ويدعون إلى التوسع فيها وتعميقها في البحث اللغوي العربي . ونحن نميل إلى الفريق الأخير لما وجدناه من أمثلة بينة احتج بها ابن جني من القرآن الكريم واللغة ، وشواهده واضحة في ذلك والفروق الدلالية ، ولكنها لا تعم جميع اللغة ، ولم يدع ابن جني ذلك .

(1) الخصائص جـ2 / 109، 110 يقال بها بالشيء : أنس به .

(2) نفسه جـ2 / 88 ، 95 ، 96 .

وراند البحث الصوتي الحديث الدكتور إبراهيم أنيس الذي وضع فيه كتاباً رائداً فريداً تناول فيه آراء القدماء ، وعرّج فيه على الدراسات الغربية كثيراً وعالج القضايا الصوتية معالجة علمية واعية لا يألوها تقصير ، فأصبح الكتاب مدداً لكل من طلب العون في مجال الأصوات . [1] ولحق به نفر من المتخصصين أسهموا في الدراسات الصوتية إسهامات لا تجهل ، وأضافوا إلى ما سبقهم إليه سابقوهم .

وأهم ما يشغلنا في بحوث هؤلاء الجانب الدلالي في الأصوات ، وهو جانب لم ينكره القدماء أو المحدثون ، فقد أكدوا جميعاً مشاركة الأصوات في تحقيق بعض المعاني، فالأصوات مادة اللغة .

وتجيء أصوات الكلام الصامتة والصائتة في نسق متعارف عليه عند أهل اللغة ، وكل صوت منها يقابل الآخر أي لـه وظيفة تختلف عن غيره غير أن الملاحظ أن الكلام ليس مجرد أصوات قطعية يتبع بعضها بعضاً بل يتضمن شيئاً إضافياً هو ما يمكن تسميته بموسيقي الكلام . فهناك طبقة صوتية تنتهي بها الجملة ويعرف منها ما إذا كانت استفهامية أم تقريرية ، وهناك وقفات بين أجزاء الكلام تفيد السامع في معرفة المعني ويدل كذلك موقع النبر من الكلمة أو الجملة على معني .

وهذه الظواهر الصوتية التي تصحب الكلام تسمي الأصوات فوق القطعية ، وتتمثل في النبر والوقفة ، ونمط التنغيم وطبقة الصوت ، ومن هذه الملامح أيضاً علو الصوت الذي يدل غالباً على الغضب ، ومعدل السرعة في الأداء الذي يرتبط بمعاني الإلحاح ، أو الانفعال ، أو التأكيد ، أو التروي . [2]

وقام علماء اللغة بدراسة هذه العناصر في عربيتنا ، فاختلفوا في وقوعها فيها كما اختلفوا في موقف القدماء منها .

---

(1) كتاب الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو 1990م . وقد طبع عدة طبعات .

(2) دراسات الصوت اللغوي ص 220 .

وترجع أسباب الخلاف إلى أن علم اللغة الحديث نشأ في الغرب واتخذ لنفسه اصطلاحات حديثة ، قد لا توجد عند علمائنا القدماء ، واتخذ البحث الحديث لنفسه مناهج وأسساً تقوم على التخصيص والتفريع بينما درس القدماء اللغة عامة فتداخلت الموضوعات، ولم يضعوا حدوداً فاصلة بين بعض الفروع ، إلا في مرحلة تلت اكتشاف العلم .

لقد اختلف علماؤنا المحدثون حول اهتمام القدماء بقضية النبر في العربية ، وشاركهم في ذلك بعض المستشرقين مثل هنري فليش Henry Fleisch الذي رأي أن "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدي النحاة العرب بل لم نجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم .. "[1] ، لكنه يعترف بمعرفة الصرفيين به: "أما علم الصرف ، فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئياً ، وذلك في حالة واحدة فحسب ، حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة) ... وهذه الحالة تدع رغم ذلك دوراً ثانوياً للنبر ."[2] ، وقال الدكتور تمام حسان : " إن دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية تتطلب شيئاً من المجازفة ، لأنها لم تعرف ذلك في قديمها . ولم يسجل لنا القدماء شيئاً من هاتين الناحيتين " .[3]

وقد وجد هذا الرأي له صدي عند بعض العلماء [4] ونقول إنه من الصعب التعرف على المصطلحات الحديثة مثل النبر والتنغيم في تراثنا ، لكننا لا ننكر وجود مفاهيم هذه

---

(1) هنري فليش : العربية الفصحي : تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ط1 ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت 1966م ص 49 و 182 . وارجع إلى عبد الكريم مجاهد . الدلالة اللغوية ص173 .

(2) العربية الفصحى ص 182 .

(3) الدكتور تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص 163 ، 164 .

(4) يقول الدكتور أنيس فريحة : "إن قضية النبر لم يعرها العرب أقل انتباه .. ولم يعطها لغويو العرب حقها من العناية ، حتى إنهم لم يضعوا لها لفظاً خاصاً ، ونعني قضية النبر وأثرها في الحركة من حيث الطول والقصر . اللهجات وأسلوب دراستها : محاضرات في معهد الدراسات العربية ـ جامعة الدول العربية القاهرة 1374هـ ، 1955م ص 70 ، 52 . وذهب فليش إلى ما هو أبعد من ذلك حيث قال : " العربية لا تتصف بشيء من النبر الديناميكي أو الموسيقي " . العربية الفصحي ص 182.

المصطلحات في مسميات أخري في كتب القراءات وكتب النحو والصرف والمعاجم ، والبلاغة ، وشروح الشعر . والكتب التي تناولت الخطابة وتناولت الموضوعات التي ترتبط بعملية الأداء .[1] ونري أن هذا الرأي فيه تجني على عربيتنا وجهود علمائنا في هذا المجال ، فقد توصل علماؤنا منذ وقت مبكر إلى أهمية العناصر الصوتية في الدلالة ، وعلى رأس هؤلاء علماء القراءات الذين وضعوا قواعد دقيقة لقراءة النص القرآني حفاظاً على معانيه ودلالته ، وفصلوا وجوه القراءات ودلالتها ، وتبعهم علماء اللغة فدرسوا الأصوات ، وقدموا بحوثاً غير مسبوقة في التراث العالمي ، وأصبح للأصوات علم خاص في العربية ، ولم تعرف مثل هذه الدراسات إلا في العصر الحديث.

إننا لا ننكر أن المصطلحات الحديثة مثل : الفونيم (الصوت) ، المقطع ، النبر (Stress) ، التنغيم ، درجة الصوت ، لم يستخدمها قدماؤنا على هذا النحو الحديث ، لكننا نجدهم يدركون دلالة هذه العناصر في التأثير في المتلقي ، وعالجوا أثر الصوت في الدلالة ويفهم ذلك من قول ابن جني[2]: " ... وقد حذفت الصفة ودلت عليها الحال ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب (سيبويه) من قولهم : "سِير عليه ليل . وهم يريدون ليل طويل . وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها . وذلك إنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويع والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك . وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته . وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه . فتقول : كان – والله – رجلاً! فتزيد في قوه اللفظ بـ "الله" هذه الكلمة . وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي : رجلاً فاضلاً أو كريماً أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنساناً سمحاً . أو جواداً أو نحو ذلك . وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت :

---

(1) لقد عالج أبو علي القالي هذه الموضوعات في كتابة الحجة الذي تناول فيه القراءات القرآنية السبعة المشهورة ، ثم أكمل تلميذه ابن جني هذا الموضوع بدراسة القراءات الشاذة . كما تناول الجاحظ هذه الموضوعات في البيان والتبين .

(2) ابن جني : الخصائص 2/ 370 ، 371 .

سألناه وكان إنساناً أو تزوي وتقطبه . فيغني عن قولك : إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مبجلاً أو نحو ذلك" . [1] لقد قرأ ابن جني قراءة تمثيلية تعبر عن المعنى المراد فأظهر العناصر الصوتية التي شاركت في المعنى ، فنلاحظ عدة كلمات نالت عناية ابن جني في الأداء ووصف طريقة أدائها فجملة "سِير عليه ليل " دل تنغيمها في الأداء على أن المراد ليل طويل ، ووصف ابن جني تنغيم الجملة بقوله : " إنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك" . والتطريح : رفع الصوت وعلوه أو طوله وارتفاعه، والتطويح : يعني به تذبذب الصوت علواً وانخفاضاً واعتدالاً . ويعني به مستوي قوة الصوت ، ومستويات الصوت جميعها من طوح به ذهب هنا وهناك . والتفخيم منح الصوت قيمة صوتية أكثر مما هو عليه أو تغليظ الصوت في موضعه ، وهو ضد الإمالة .

ويتخذ ابن جني مثالاً آخر يفهم منه أثر النبر في الدلالة : " كان – والله – رجلاً !" يصف أداء لفظ الجلالة "الله" "ورجلاً" في النطق فيقول : "فتزيد في قوة اللفظ بـ"الله " هذه الكلمة ، وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ؛ لتعطي دلالة رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك" . فالنبر زيادة في قوة الصوت لكلمة من كلمات الجملة ليميزها عن غيرها لتحقيق دلالة ما ، وهي المدح في المثال . ومثل ذلك كلمة إنسان في : "سألناه فوجدناه إنساناً " وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك بـ "إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك" .

ويشير ابن جني كذلك إلى مشاركة الحركات الجسمية في الدلالة إلى جوار النبر والتنغيم : " وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه ، وكان إنساناً ! وتزوي وجهك وتقطبه . فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مبجلاً أو نحو ذلك " . [2]

---

(1) ارجع إلى الخصائص جـ2/ 370 ،371 ، يقول الدكتور عبد الكريم مجاهد عن دور ابن جني في دراسة العناصر الصوتية المشاركة في الدلالة ، " ... بذلك يظهر بجلاء ووضوح ، ويثبت أنه قد طرق باب هذه الموضوعات التي تعتبر من منجزات علم اللغة الحديث ، وبذلك تحفظ له أصالته ومساهمته . الدلالة اللغوية ص 182 .

(2) الخصائص ، جـ2/ 371 .

إننا نلاحظ أن ما قاله ابن جني في القرن الرابع الهجري لا يختلف عما توصل إليه علم اللغة الحديث في هذا المجال إلا في بعض المصطلحات التي وضعت لهذه المسميات القديمة التي افتقدت إلى التحديد والتخصيص ، والاصطلاح عليها يعد من ثمار الدراسات الحديثة[1] .

إننا نجد علماء من أهل عربيتنا ينكرون جهود علماء العربية في دراسة النبر والتنغيم متفقين في ذلك مع فليش الذي رأي أن العربية لا تتصف بشيء من النبر الديناميكي أو الموسيقي".[2]

ولكننا نجد من المستشرقين من يدافع عن العربية وخصائصها ، ويرد كلام هؤلاء من أبناء العربية ومن غير أبنائها الذين أنكروا وجود السمات شبه اللغوية التي تتمثل في الأصوات التي تصاحب الأداء . ومن هؤلاء الذين وضعوا العربية في مكانها اللائق بين لغات العالم بركلمان يقول : " في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية ، ويتوقف على كمية المقطع ، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده ، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل ، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها".[3]

وتقوم دراستنا على النوع الأول (السمات شبه اللغوية) ودورها في التواصل في الخطاب

---

(1) ارجع إلى : الدكتور تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص 90 ، والدلالة اللغوية ص 175 . والخصائص جـ 2/ 371 . لقد تناول الدكتور محمد العبد في كتابه المفارقة القرآنية أثر القراءة في الدلالة وبين آراء القدماء فيها من الناحية الصوتية والمفارقات الدلالية التي تختلف باختلاف القراءة أو الأداء الصوتي ، كما تناول وصف القدماء طريقة الأداء . وارجع إلى الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص 82 . مكتبة نهضة مصر .

(2) ومن أصحاب هذا الرأي الدكتور أنيس فريحة . ارجع إلى العربية الفصحى ص182 . وقد قال بعض المستشرقين مثل قوله .

(3) الدكتور رمضان عبد التواب : لحن العامة والتطور اللغوي ط1/ 1967م . دار المعارف ص 54 . نقلاً عن كتاب بركلمان "اللغات السامية" .

المنطوق من خلال دلالتها التي ترتبط بالقرائن المقالية والحالية .

ونعرض فيما يأتي أهم العناصر الصوتية المشاركة في الدلالة.[1] وتنقسم إلى نوعين ، نوع يرتبط بدلالة الكلمة ، ونوع يرتبط بدلالة الجملة :

أولاً : النوع الأول :

- الصوت أو الفونيم Phoneme
- الحركات أو علامات الشكل (الضبط) . Vowel Points
- المقطع Sylloble
- النبر Stress

وهذه العناصر تقع في نطاق الكلمة ، وترتبط بها عدا النبر فإنه يقع في الكلمة ، ويقع في الجملة أيضاً .

ثانياً : النوع الثاني :

- التنغيم أو نمط التنغيم Intonation Contour
- الوقفة أو الفاصل Juncture[2]
- طبقة الصوت Pitch
- نوع الصوت Quality
- شدة الصوت Intensity

---

(1) هذه الظواهر الصوتية التي تصحب الكلام تسمي الفونيمات فوق القطعية Supra-segmental phonemes ، وتسمي الأصوات الصامتة والصائتة الفونيمات القطعية Phonemes segmental .

(2) الفاصل أو الوقفة تكون في الكلمة ولكنها في الجملة أظهر ولها أثر في دلالتها ، ولهذا وضعناها بين العناصر الصوتية التي تقع في الجملة ، ولكن النبر في الكلمة أظهر من وقوعه في الجملة ، ولهذا وضعناه بين العناصر الصوتية التي تتعلق بالكلمة .

وهذه العناصر ترتبط بالجملة وأدائها الصوتي ، وترتبط بالسياق المقالي والحالي .

الصوت (الفونيم):

الصوت الهجائي ، أو الهجاوي (معرّبه : فونيم):

وحدة صوتية صغري يمكن تجزيء سلسلة التعبير إليها مثل الضاد ، والراء ، والباء في ضرب، والتي تمثل الأصوات الرئيسية [1] ، والأصوات لبن الكلمات ، وهي: أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص ، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في السياق الصوتي نفسه الذي يقع فيه الآخر . [2] ويرمز إلي كل صوت منها بحرف من حروف الهجاء في الخط أو الكتابة .

والصوت يؤثر في دلالة الكلمة ، ومثال ذلك الأصوات الأوائل في : ناب ، تاب ، عاب ، غاب ، شاب. إن اختلاف الصوت الأول في هذه الكلمات المتشابهة في بناء المقاطع أدي إلى اختلاف الدلالة، وهذه الأصوات على الترتيب : ن ، ت ، ع ، غ ، ش . فاختلافها ميز بين الكلمات ، وهذا لا يعني ارتباط ترتيب الأصوات في الكلمة بالمعني فترتيبها ليس قائمًا على معنى في النفس ، ولكن اختلافها فرّق بين أصوات الكلمات المصطلح على دلالتها .

ولقد توصل علماء العربية إلي أثر الحرف (الصوت) في دلالة الكلمة لما يؤدية من فروق في الدلالة بين الكلمات ، " وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حروف الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين ، كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة : شروب ، ولما كان دونه مما يتجوز به : " شريب ". [3]

---

(1) الصوت (الفونيم) يتمثل في الأصوات الرئيسية مثل : الهمزة ، ألف ، باء ، تاء ... والألفون Allophone هو صفة نطق الصوت والكلمة في الجملة ويتمثل في التنغيم ، الجهر ، الهمس ، الترقيق .

(2) أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب ص 136 وأرى أن نسمي الفونيم "الصوت الهجائي" لئلا يلتبس مصطلح الصوت بغيره . وهو نسبة إلى حروف الهجاء (الأصوات مقطعة) .

(1) اتفاق المباني وافتراق المعاني ص 98 .

ومثال : نضح ، ونضخ : الأول رش الماء على البول الخفيف على الثوب ، فإن زاد قيل له : نضخ الماء على الثوب لكثرته.

ومثال :القبض ، والقبض . الأول يكون بأطراف الأصابع ، والثاني لأخذ الكف كلها[1] فالقبض جمع الكف على الشيء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [طه: 96].

ومثال : يقال للأكل بأطراف الأسنان قضم ، وبالفم خَضْم . قال أبو زر الغُفاري: "تخضمون ونقضم والموعد الله ، وقال عبد الله بن الزبير: يكفينا من خضمكم القضم" [2].

ويقال لما ارتفع من الأرض حزن ، فإن زاد قليلاً قيل حزم . ويقال للنار إذا طفيت هامدة، فإذا سكن اللهب وبقي من جمرها شيء قيل خامدة ، ويقال للخطأ من غير تعمد غلط ، فإذا كان في الحساب قيل غلت[3].

وقد يستخدم اللفظ في سياق ولا يستخدم في آخر للدلالة عليه ، مثل : فاظت نفسه ، وفاض الماء ، فالأول يعني خروج الروح والثاني يعني الزيادة ، وقد أدي اختلاف الصوت في كليهما إلى هذا الاستخدام الذي يناسب سياقه .

ويؤدي اختلاف موقع الصوت في الكلمة إلى اختلاف دلالتها ، ومثال ذلك ما أجراه ابن جني من تقليبات صوتية لجذر واحد أو لمجموعة أصوات واحدة ، فاستخرج منها مجموعة كلمات ذوات معان ، واستبعد المهمل ، ومن هذه الأمثلة "ملك" يمكن أن يبني من تقليب أصواتها : ملك ، كمل ، كلم[4]. ولا شك أن لكل منها دلالة خاصة رغم اتفاقها في الأصوات ، ولكن اختلفت دلالتها نتيجة ترتيب هذه الأصوات في الكلمات الثلاث ؛

---

(1) اتفاق المباني وافتراق المعاني ص 98 .

(2) ابن أبي حديد : نهج البلاغة 3 / 297 .

(3) اتفاق المباني وافتراق المعاني ص 99 .

(4) الخصائص 2/ 146 وابن جني يري وجود علاقة دلالية بين هذه الكلمات ، ولكننا نري أن هذا لا يتسق دائماً مع كل المفردات التي تتكون من تقليب جذر واحد ، وقد حاول ابن جني إيجاد علاقة بينها جميعاً .

فوظيفة الصوت الهجائي في الدلالة دفع التباس الرمز بغيره أو التمييز بين الألفاظ .

وقد ذهب ابن فارس إلى أن الأصوات أو الحروف تدل على المعاني أيضاً فقال : أجمع أهل اللغة – إلا من شذ عنهم – أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض . وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر . تقول العرب للدرع ، جنة . وأجنه الليلُ . وهذا جنين ، أي هو في بطن أمّه أو مقبور "[1] ، وقد تحققت هذه الدلالة من وضع الأصوات نفسها في ترتيب واحد متسق دون تقليبها ، والمعنى لم يتحقق من الصوت بل من تأليف أصوات الكلمة وعلاقتها بالجذر الذي اشتقت منه ، فالكلمات التي تشتق من جذر واحد بينها صلة معنوية ترتبط بأصل المعنى الذي وضعت له .

وأري أن المعاني لا تكون من الأصوات وحدها ، بل من وضعها في ترتيب معين ، فالمعني من الصيغة التي تبني منها الكلمة ، فاختلاف ترتيب أصوات الكلمة يعقبه اختلاف في معناها ، وكذلك اختلاف الصيغة الصرفية ، وهنالك جوانب أخري تؤثر في اختلاف المعني نحو موضعها في التركيب ، والسياق الذي تأتي فيه ، وعلاقتها بما جاورها من لفظ ، ولكن النون وحدها ليس لها معني في كلمة جنة ، وكذلك الجيم ، ونظم أصوات الكلمة لا يقوم على معني ، فمجيء النون بعد الجيم أو ترتيبها كذلك ليس عن معني ؛ لأن الاصطلاح على هذا الترتيب هو الذي يؤكد هذا المعني لهذا اللفظ ، ويوضح هذا قول عبد القاهر الجرجاني : " ... وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق ، وليس نظمها بمقتضي عن معني ، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسماً من العقل اقتضي أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه . فلو أن واضع اللغة كان قد قال " ربض " مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد[2] .

ويمكن توجيه ما ذهب إليه "القالي" ، و"ابن جني" ، و"ابن فارس" إلى أن هذه المعاني

---

(1) الصاحبي ص 58 .

(2) دلائل الإعجاز ص 49 .

التي تتحقق من هذه الأبنية جاءت بعد الاصطلاح على أن هذا الترتيب الصوتي في اللفظ قد أدي هذا المعني ، فكل زيادة في هذا اللفظ تؤدي إلى زيادة في المعني ، فقد اصطلح أهل اللغة على معني هدم وكسر ، فلما أرادوا الزيادة في المعني ضعفوا عين الفعلين : هدّم ، كسَّر ، فأعقب الزيادة في المبني زيادة في أصل المعني ، والله أعلم .

وتوجد في اللغة أصوات قوية في السمع وأصوات ضعيفة ، فالأصوات القوية هي التي يقع خلال نطقها انفجار هوائي مثل : الدال ، والطاء ، والضاد ، والباء .

ومجيء مثل هذه الأصوات في كلمة يوقع دوياً صوتياً عالياً يعزز من دلالتها ، ولا شك أن ارتفاع الصوت يزيد اللفظ دلالة وتأكيداً ، ومثال هذا : قطَّع ، وشدَّد في حالة تضعيف العين يشتد الصوت ويحبس الهواء ، ثم يحدث دوياً انفجارياً ، وهذا يتضح جيداً في المقاطع الطويلة التي يمتد فيها الصوت في مثل : عاد ، عيد ، معود .

وكذلك في المقاطع العنقودية الطويلة والقصيرة في مثل : نارّ ، حارّ ، شدّ ، جدّ ، مدّ.

والتكرر للمبالغة وقوة المعني في مثل : عصبصب وغشمشم ، واخلولق ، واعشوشب .[1] هذا في الفونيمات أوالوحدات الصوتية الرئيسية ، ولكن صفة نطق الصوت التي تصاحبه بتأليفه مع ما يجاوره من أصوات الكلمة أو صوت من كلمة مجاورة لا يشكل أثراً في الدلالة مثل الإظهار والإخفاء في : إن شاء ، إن يقم ، والإضغام في "لنسفعمبناصية" فأحكام نطق النون مثلاً لا تشكل دلالة في الكلمة ، وإن خضعت لتأثير ما جاورها من أصوات في الأداء الصوتي . والاختلاف بين ألوفون [صويت] وألوفون آخر لا يؤدي إلى تغيير في المعني ، فهو في الواقع تغيير صوتي ولكنه يشارك في الإيقاع الصوتي بما يؤديه من غنة أنفية فيحسن بها الأداء[2] .

---

(1) ارجع إلى الخصائص جـ2/ 103 المكتبة التوفيقية .

(2) الألفون The Allophone ليس فونيماً بل جزءًا منه والألفون هو صفة نطق الصوت التي تصاحبه في الأداء ، والذي يختلف باختلاف ما جاور الصوت من أصوات ، والصوت له نطق واحد بينما نطق =

وهذا الأثر الصوتي يسهل على المتكلم عملية النطق ، ويزيد صوته حسناً في السمع .

دلالة الحركة

الحركة سواء أكانت مصاحبة لأصوات الكلمة ، أو تقع على أواخر الكلم تعد جزءاً من الوحدات الصوتية التي تشارك في الدلالة ، والحركة التي تصاحب أصوات الكلمة تسمي حركة البناء أو الشكل ويصبح الكلام بها مشكولاً ، والحركة التي تقع في آخر الكلمة تسمي حركة الإعراب[1] ، وهي الحركة التي تبين وظيفة الكلمة في التركيب وموقعها فيه .

والحركات وحدات صوتية Phonological units لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي ، وتعد جزءاً منه ، وتعد أصواتًا أساسية أو أولية Primary Phonemes في الكلمة المركبة وليس في الصوت الهجائي .

أولاً - حركة البناء أو الشكل Diacritic vowel

وهي علامة تستعمل أعلي الحرف أو أسفله في الكتابة لتبين صفة النطق في الأداء ، والحركة تؤدي دوراً مميزاً في دلالة الكلمة ، فهي التي تميز بين الفعل والاسم في مثل : "ضرب" ، فهي بالفتح فعل ويسكون الراء اسم أو مصدر وتحدد زمن الفعل في مثل : ضَربَ ، يضربُ ، سيضربُ ، كما أنها تكشف عن الفاعل الحقيقي ونائبه في مثل : ضَرَب ، وضُرِبَ . كما أن الحركة تميز بين دلالة المشتقات ، ومثال ذلك : مترجِم ، ومترجَم . فالكسرة في الكلمة الأولي تعطي معني الفاعلية ، وفي الثانية تعطي معني المفعولية ، ونحو : مَفْعل و مِفْعَل ، فمفْعَل يأتي للمصادر مثل : ذهَبَ مَذْهباً ودخل مَدْخلا وخرج مخرجاً ، ومِفْعَل يأتي للآلات والمستعملات مثل : مِطْرَق ، ومِرْوَح[2] ، ومِخْصَف ومِئْزَر ومِثْقَب ، مِنْبَر .

= الألفون يتعدد بتأثير ما جاور الصوت من أصوات . فهو جزء من أجزاء الصوت . ويتمثل الألفون في : الجهر والهمس أو الاحتكاك أو الانفجار ، والإخفاء والإظهار والإدغام .

(1) قال ابن بنين : "وقد يفرقون بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين بالإعراب وبحركة البناء وبتغير حرف الكلمة " . اتفاق المعاني واختلاف المباني ص 97 .

(2) المِرْوحة بكسر الميم التي يتروح بها ، والمَرْوحة بالفتح الأرض الكثيرة الريح . والمُغْتَسَل : الموضع ، والمُغْتَسِل : الرجل . اتفاق المباني واختلاف المعاني ص 98 .

وتحاكي الحركات الحدث المعبر عنه مثل : وزن "فَعَلان" الذي يأتي للاضطراب والحركة ، وشاهد ذلك الغليان ، الغثيان ، الدوران .

قال الثعالبي : " ما كان على فَعَلان دل على الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان والضربان . وما كان على "فَعْلان" دلّ على صفات تقع من أحوال كالعطشان والغرثان والشبعان والريان والغضبان " . [1]

وتشارك الحركة في تنوع الصفات مثل : "رجل لُعَنَة" ، إذا كان يلعنه الناسُ ، فإن كان يلعنُ الناسَ قيل : رجل لُعَنَة ، بتحريك العين بالفتح ، ورجل سُبّه إذا سبه الناس ، فإذا كان هو الذي يسبب الناس قيل : رجل سُبَبَة بتحريك الباء بالفتح . وكذلك هُزَءة وهُزَأَة وسُخَرَة وُسخرة ، وضُحَكة، ضَحَكَة ، وخُدَعة وخُدَعَة[2] .والهُوْن : العذاب ، ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام: 6] والهَوْن : الرفق ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: 63].

فاختلاف الحركة دل على المعني وضده . كما يعبر طول الحركة وقصرها عن المعني، ويشارك في الدلالة مثل : "أنتَ" بالفتح القصير و"أنتِ" (أنتِ) بالكسر الطويل ، الأولي تعني التذكير والثانية تعني التأنيث .

وشاهد ذلك أيضاً مد الفم للدلالة على واو الجماعة في "يقولوا" وقصرها للدلالة على الإفراد في "يقولُ" ، وكذلك قصر الضمة وطولها في "قال" و "قالا" للدلالة على الإفراد والتثنية [3].وقد توسع ابن جني في ذلك وكشف عن دواعيه ، ودلالاته .

ثانياً - علامات الإعراب

وهي العلامات التي تقع على أواخر الكلم بما يقتضيه موقعها من المعني والتركيب

---

(1) أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة ، دار ابن خلدون ص 255 .

(2) ارجع إلى : تأويل مشكل القرآن ص 13 ، وما بعدها واتفاق المباني والمعاني ص 98 ، وفقه اللغة للثعالبي ص 267 .

(3) الخصائص حـ3 / 128 – 130 .

وتظهر في صور أصوات تصاحب الحرف الأخير من الكلمة المعربة في الجملة:[1]

وحركة الإعراب تختلف عن حركة البناء ، فالأولى لا تقع إلا في التركيب لارتباطها بوظيفة الكلمات التي يتكون منها ، والثانية تقع في أحرف الكلمة أو أصواتها.

والإعراب يكشف عن المعاني ، ويحدد موقع الكلمات في التركيب ، قال ابن يعيش : "الإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلام لتعاقب العوامل في أولها "[2]. كما أنه " هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام..... " .

ويرى الزجاجي (ت 339) أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ، ومضافة ، ومضافاً إليها ، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني ، بل كانت مشتركة ، جُعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني ، فقالوا : ضرب زيد عمراً ، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له ، وبنصب عمر على أن الفعل وقع به ، ... وكذلك سائر المعاني جعلوا الحركات دلائل عليها ، ليتسعوا في كلامهم ... وتكون الحركات دالة على المعاني "[3].

وليست العلامة الإعرابية إلا رمزاً لوظيفة اللفظ في التركيب ، وعلاقته بما جاوره من ألفاظ لتحقيق معنى معين ينشده صاحب التركيب وليست هذه الرموز الإعرابية جزءاً من المعنى ، ولكنها توضح وظيفة اللفظ في التركيب ، فالحركة تدل على الفاعل والمفعول في مثل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: 28]، فالمعنى العلماء يخشون الله ، ولو غابت الحركة لتوهم السامع أو القارئ أن " الله " تعالى هو الفاعل ، لأنه المقدم ، فيفسد المعنى .

---

(1) موقع الكلمة من التركيب أو ترتيبها فيه لا يكفي لتحديد وظيفتها فيها ، فقد يقع تقديم وتأخير ، والمعنى هو الفيصل في تحديد وظيفة الكلمة .

(2) ابن يعيش ، موفق الدين بن يعيش بن علي : شرح المفصل ، القاهرة د.ت جـ 1/ 72 .

(3) الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق : الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، القاهرة 1378 ، 1959م ص 69 .

ويقوم الإعراب بوظيفة دلالية ، فهو الذي يبين وظائف الكلمات في التركيب ، فالإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، يقول ابن جني: " ألا تري أن موضوع الإعراب على مخالفة بعضه بعضاً من حيث كان إنما جيء به دالاً على اختلاف المعاني " [1] . فاختلاف المعاني يظهر أثره في اللفظ الذي يتمثل في حركات الإعراب التي تلحق أواخر الكلم ، فحركات الإعراب دليل على المعني الذي يريده المتكلم " ولما كانت معاني المسّمين مختلفة ، كان الإعراب الدال عليها مختلفاً ، وكأنه من قولهم : عربت معدته إذا فسدت كأنها استحالت من حال إلى حال ، كاستحالة الإعراب من صورة إلى صورة " [2] ، ودليل الإعراب على المعني يعكس الدلالة المعنوية " ألا تري أن استمرار رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول . وهذا الفرق أمر معنوي ، أصلح اللفظ به ، وقيد مقادة الأوفق من أجله ، فقد علم بهذا أن زينة الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني وحياطتها " [3].

وقد وجدت فكرة دلالة حركات الإعراب المعنوية صدي لها عند ابن فارس حيث رأي أن دلالة حركات الإعراب معنوية ، فالإعراب " الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ، ولولاه ما مُيّز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من استفهام" [4].

ويؤكد ابن مضاء القرطبي هذا الرأي ، فيقول " إن حركات الإعراب لم توجد لتدل على عوامل معينة ، وإنما جاءت لتدل على معانٍ في نفس المتكلم " [5] ، فحركات الإعراب وظيفتها الدلالية تتمثل في المعني ، فالحركات تؤدي دورًا كبيرًا في المعني لا تقل قيمته عن

---

(1) الخصائص 1/ 175 . ط الهيئة المصرية .

(2) الخصائص 1/ 37 .

(3) الخصائص 1/ 150 .

(4) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها " تحقيق السيد أحمد صقر ، ط عيسي الحلبي وشركاه ص 76 .

(5) ابن مضاء القرطبي : الرد على النحاة ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ط 2/ 1982 ص 78 .

قيمة أصوات الكلمة أو حروفها في تحقيق معني الجملة الدلالي ، وقد قيل الإعراب فرع من المعني .

وقال ابن فارس في الحاجة إلى علم العربية (النحو) : " ... فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني ألا تري أن القائل إذا قال : " ما أحسن زيد " لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب . وكذلك إذا قال : "ضرب أخوك أخانا " و " وجهك وجهُ حرٍ "، و " وجهك وجهٌ حرٌ" وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه [1].

قال سليمان بن بنين : " وقد يفرقون بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين بالإعراب ، وبحركة البناء ، وبتغير حرف الكلمة " [2].

ونقل عن ابن قتيبة: " وللعرب الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها ، وحلية لنظامها ، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين ، كالفاعل والمفعول به ، ولا يفرق بينهما إذا تساوت حالتهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب . ولو أن قائلاً قال : هذا قاتلٌ أخي . بالتنوين ، دل على أنه لم يقتله ، ودل حذف التنوين على أنه قتله "، "هذا قاتلُ أخي".

ولو أن قارئاً قرأ : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يس: 76] . ونزل طريق الابتداء بإنا ، وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب إنّ بالقول كما ينصبها بالظن ، لقلب المعني على جهته وأزاله عن طريقه ، وجعل النبي صلي الله عليه وسلم محزوناً لقولهم " إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون" ، وهذا كفر ممن تعمده وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه " . [3]

---

(1) الصاحبي ص 55 .

(2) سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت 614 هـ) : اتفاق المباني وافتراق المعاني ، تحقيق الدكتور: يحيي عبد الرؤوف جبر ، دار عمار . عمان ط 1/ 1405 هـ ، 1985 م ص 97 وارجع إلى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ط الباني الحلبي 1954م ص 11 وما بعدها .

(3) تأويل مشكل القرآن ص 11 ، 12 .

ومثال ذلك أيضاً حديث " لا يقتلُ قرشي صبراً بعد اليوم ، ولا يقتصُّ منه " فمن رواه مجزوماً على جهة النهي ، أوجب ظاهر الكلام للقرشي ألا يقتل ، وإن ارتدّ ، ولا يقتصّ منه إن قَتَل. ومن رواه رفعاً انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل [1].

قال ابن جني في باب القول على الإعراب: " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت : "أكرم" سعيد أباه ، وشكر سعيداً أبوه ، علمت برفع أحدهما ، ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"[2] .

ولهذا وجب تقديم الفاعل على المفعول في الجمل التي تقدر فيها حركات الإعراب أولا تظهر فيها مثل : "ضرب موسى عيسى" . وضعت هذه الجملة في ترتيبها المألوف (فعل ، فاعل ، مفعول) ، فالترتيب في مثل هذه الجمل يقوم مقام الإعراب أي يحدد وظيفة كل لفظ في التركيب .

وقد تقوم القرينة المعنوية بتحديد أركان الجملة في بعض الجمل ، وذلك من خلال دلالة أخرى من قبل المعنى ، فلا يلزم الترتيب مثل : "أكل يحيى كمثرى" ، "ووقرت الصغرى الكبرى" ، لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت ، لأن فعل الأكل لا يأتي إلا من "يحيى" الفاعل ، والتوقير من الصغير للكبير .

وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع جاز لك التصرف ، نحو قولك : "أكرم اليحييان البشرين" ، و"ضرب البشرين اليحيون" .

وقد تدل على المراد قرينة غير لغوية خارجية كالإشارة إلى الفاعل والمفعول باليد ، مثل: كلم هذا هذا . وتعين الفعل بالإشارة أو الإيماءة أو أن تمسك بالفاعل أو بالمفعول ، فتقول : "ضرب هذا هذا" . فينظر المتلقي فيبصر حال الضارب ، فيعرفه وكذلك يري هيئة المضروب .

---

(1) نفسه .

(2) الخصائص جـ1/ 46 .

وكذلك لو أو مأت إلى رجل وفرس ، فقلت : "كلم هذا هذا فلم يجبه" ، لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت ؛ لأن في الحال بياناً لما تعني . ففعل الكلام يتحقق من الرجل لا من الفرس .

وكذلك قولك : "ولدت هذه هذه" من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة ، غير منكورة .

وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الاتباع جاز لك التصرف لما تعقب من البيان نحو : "ضرب يحيى نفسه بشري" ، أو "كلم بشري العاقل معلّي" ، أو "كلم هذا وزيداً يحيى"[1].

والجمل التي تخلو من علامات الإعراب يصعب تحديد أركانها قال ابن الأثير : "اعلم أن من أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم إلا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل ، فإنه إذا لم يكن ثم علامة تبين أحدهما من الآخر ، وإلا أشكل الأمر كقولك "ضَرَبَ زيد عمرو" ، ويكون زيد هو المضروب ، فإنك إذا لم تنصب زيداً ، وترفع عمراً ، وإلا لا يفهم ما أردت ، وعلى هذا ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [فاطر: 28].

وكذلك لو قال قائل : ما أَحْسَنَ زيد ، ولم يبين الإعراب في ذلك ، لما علمنا غرضه منه ، إذا يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه ، أو يريد به الاستفهام عن أي شيء منه أحسن ، ويحتمل أن يريد به الإخبار بنفي الإحسان عنه ، ولو تبين الإعراب في ذلك فقال : ما أحسنَ زيدًا ، وما أحسنُ زيدٍ ، وما أحسنَ زيدُ " علمنا غرضه ، وفهمنا مغزى كلامه ، لانفراد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يصرف به من الإعراب ، فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو إذا كان ضابطاً لمعني الكلام ، حافظاً لها من الاختلاف[2].

---

(1) ارجع إلى الخصائص جـ 1/ 46 .

(2) ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية لبنان ، ط1416هـ – 1995 م جـ1 / 30 .

يتبين من هذا أن الإعراب سمة من سمات العربية تعرف به ، ويعد جزءاً من بنيتها الصوتية ، ويشارك في معانيها مثلما تشارك الأصوات والكلمات والتراكيب .

المقطع : Syllable

وحدة صوتية مركبة من بداية لها قوة إسماع ونهاية تفصله عما بعده ، ويتكون من صوت صامت متحرك ، وصائت مفتوح أو مغلق ، وطويل أو قصير ، وللمقطع تعريفات أخرى متعددة منها أنه : تتابع من الأصوات الكلامية ، له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية ، أو هو قطاع من تيار الكلام يحوي صوتاً مقطعياً ذا حجم أعظم ، أو أنه أصغر وحدة في تركيب الكلمة .[1]

ويتمثل المقطع في أبسط صورة في نطق الصوت بمصاحبة حركته مثل : قالَ ، تنقسم إلى مقطعين الأول قا : الصوت ق + حركته (حركة المد الطويل) ، والمقطع " ل" : الصوت "ل" + حركة الفتح القصير [2]. وإن سكنت اللام في " قالْ") فهي مقطع واحد فقط ،

---

(1) أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب 1411 هـ – 1991م ص 282 .

(2) يختلف المقطع عن الصوت الهجائي فالمقطع صوت مركب يحتوي على الصوت وصفة نطقه التي تتمثل في الحركة، و الصوت الهجائي يتمثل في الصوت نفسه فقط ، وتقسم المقاطع على النحو الآتي :

1– المقطع القصير المفتوح = ص ح مثل : واو العطف ، وفاء العطف .

2– المقطع القصير المغلق = ص ح ص مثل : لمْ ، هلْ .

3– المقطع الطويل المفتوح = ص ح ح مثل : ما . لا .

4– المقطع الطويل المغلق = ص ح ح ص مثل مالْ ، نيلْ (بسكون الآخر) .

5– المقطع العنقودي القصير = ص ح ص ص مثل : كلْبْ ، سلْبْ (بسكون الآخر) .

6– المقطع العنقودي الطويل = ص ح ح ص ص مثل نارْ ، ضارّ ، حارّ ، والرموز ص = صوت صامت / ص ص = صامتان / ح = حركة قصيرة / ح ح = حركة طويلة ، مثل ألف المد ، ياء مد ، واو المد . والصوت الصامت يقبل الحركة ، والصائت الأصوات التي لا تقبل الحركة فهي ساكنة مثل ألف المد وياء المد وواو المد ، فإن تحركت الواو والياء فهما صامتان . والألف صائتة أبدًا؛ لأنها لا تقبل الحركات مطلقًا ، ومادون هذه الصوائت الثلاثة صوامت : ء ، ب ، ت ، ث ... ل ، م ، ن ، هـ ، و(المتحركة ، ى (المتحركة) .

لأن اللام الساكنة صارت قفلاً يغلق المقطع ونهاية له ، والكلمة كلها مقطع طويل مغلق ، وتمثل القاف فيها قمة الإسماع ، وهي حرف صامت ، ثم حركة المد الطويل الألف ، وهي صوت صائت ، ثم سكون يقع على صوت صامت يمثل نهاية المقطع .

وترجع أهمية المقطع إلى أنه الحقل الذي يظهر فيه النبر سواء أكان نبر كلمة أو نبر جملة ، ويشارك في الدلالة إلى جانب معرفة طبقة الصوت التي ترتبط بالمقطع من ناحية الصعود والهبوط .

ويؤدي اختلاف المقطع وتنوعه إلى دلالات متعددة مثل :

1- تحديد القيمة الدلالية للمقطع الواحد ، مثل تحديد دلالة التاء في : تكلمْتُ ، تكلمْتَ ، تكلمْتِ ، فالتاء في الفعل الأول تاء الفاعل المتكلم ، والثاني للمخاطب المذكر ، والثالث للدلالة على المخاطبة المؤنثة .

2- يؤثر طول المقطع ، وقصره في معاني الكلمات ، مثل :

ضارِبْ : ص ح ح + ص ح ص

ضَرَبَ : ص ح + ص ح + ص ح

دل طول المقطع الأول في "ضاربْ" على اسم الفاعل ، فميز بين دلالة الاسم ودلالة الفعل الذي جاء فيه المقطع الأول قصيراً مفتوحاً .

3- قد يؤدي طول المقطع إلى المبالغة في المعني مثل : "هذا الرجل طويل" . بإشباع مد الياء أكثر من المألوف للدلالة على الطول غير المألوف .

4- يؤدي طول المقطع إلى التأثير في المتلقي ، ويتحقق هذا في أصوات اللين (الألف، والواو ، والياء) ؛ لأنها أوضح في السمع وأكثر أثراً في النفس من الأصوات الساكنة مثل : البلاد ، العماد ، الأوتاد ، سميع ، عليم ، عظيم ، المؤمنون ، القاسطون ، الساجدون .

5- ويشارك المقطع في الدلالة الصرفية أو دلالة المشتق مثل : المقطع الطويل في "قاتل" ، "عامل" للدلالة على اسم الفاعل ، و"مقتول" ، "مخمور" ، للدلالة على اسم

المفعول ، و"سميع" ، "عليم" ، "بصير" للدلالة على الصفة ، ويدل التسكين والتحريك على نوع المشتق مثل : ضَرَبَ ، وضرْب ، ويدل تشديد المقطع (تضعيفه) أو تخفيفه أو فكه على اختلاف الدلالة مثل : "عبَّر" ، و"عَبَر" ، الأول يعني الحديث عن الذات ، والثاني يعني الاجتياز والمرور .

6- تؤدي زيادة عدد المقاطع إلى زيادة في المعنى ، مثل :تخريب ، تعمير [1].

النبـر Stress

يقصد بالنبر القوة أو الجهد النسبي الممنوح لنطق مقطع معين ، ليسمع أوضح من باقي المقاطع [2] ، أو هو وضوح نسبي للصوت أو المقطع إذا قورن بغيره من الأصوات المجاورة[3]، فالنبر عبارة عن ارتفاع ملحوظ في درجة الصوت[4] في نطق مقطع من مقاطع الكلمة ، فيميزه عن غيره من مقاطعها ، فالنبر يتحقق من خلال المقاطع ، ويظهر من خلال الأداء الصوتي للكلمات في الخطاب المقروء أو المنطوق ، ولهذا يرتبط بالدلالة السياقية[5].

---

(1) ارجع إلى : الدكتور إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية مكتبة الأنجلو ، ط 5/ 1979م ص 160 .

(2) الدكتور أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص 220 .

(3) الدكتور إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو ، ط 5/ 1979م ص 160 فالنبر ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة عن بقية ما حوله من أجزائها ، ويقع هذا في نطاق المقطع .

(4) يقسم النبر من حيث درجته في الصوت إلى ثلاثة أقسام :

1- النبر الأولي ، أو النبر القوي	Primary stress ، ويرمز له بالرمز	(ˊ)
2- النبر الثانوي	Secondary stress ، ويرمز له بالرمز	(ˋ)
3- النبر المتوسط	Medium stress ، ويرمز له بالرمز	(8)
4- النبر الضعيف	Weak stress ، ويرمز له بالرمز	(7)

ارجع إلى : الدكتور تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها ص 170 . وهذه الرموز من اختيار المؤلف د. عكاشة ، وهنالك رموز أخرى في كتب العلماء .

(5) الدكتور محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي ، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال . دار النشر للجامعات ، الفصل الثالث .

والنبر يرتبط بمقاطع الكلمة سواء كانت مستقلة أو في تركيب ، ويتفرع إلى نوعين الأول : نبر الكلمة ، والثاني : نبر الجملة .

أولاً ـ نبر الكلمة

وهو النبر الذي يقع على مقطع من مقاطعها ، وتتفاوت درجته حسب صفة النطق [1] وتجاور المقاطع ، ودلالتها على المعني .

وقد رأي بعض علماء العربية أن فيها نبراً صرفياً يتعلق بالكلمة ونبراً سياقياً يتعلق بتركيب الجملة . [2]

---

(1) ويمثل ذلك الجملة الآتية : كيف حالك ؟ تحتوي هذه الجملة على أربعة مقاطع تحمل أربع درجات من مستويات النبر ، فكلمة "كيف" تتكون من مقطعين : كيــ ، ف = ص ح ح ، ص ح ، ونلاحظ أن المقطع الأول منها يتحمل نبراً أقوي من الواقع على المقطع الثاني ، بل يمثل أعلي مستويات النبر في الجملة ، وهو النبر الأولي ، والمقطع الثاني يحمل النبر المتوسط ، وتتكون كلمة حالك من : حَــا + لَك = ص ح ح + ص ح ص ص ، الأول وهو المقطع الثالث في الجملة من النوع الطويل المفتوح ، ويلي في الأداء درجة أقل من المقطع الأول . ويمثل أعلي درجة من بعده من باقي المقاطع ، ويسمي بالنبر الثانوي ، والنبر الواقع على المقطع الأخير " لك " = ص ح ص . أقل درجات النبر قوة في الجملة ، ولهذا يطلق عليه النبر الضعيف . ويرمز إلى هذه المستويات الأربعة بالرموز الآتية على الترتيب : القوي ( ) والثانوي ( ) والمتوسط (8) والضعيف (7) ويتمثل ذلك في الجملة على النحو الآتي:

كيـ 8 ف + حـا + لك 7

4 3 2 1

(2) قسم الدكتور تمام حسان النبر في العربية إلى نوعين ، نبر صرفي ، وهو الذي يختص ببنية الكلمة ، ونبر سياقي ، وهو الذي يقع على الجمل ، وليس على الكلمة (المفردة) ، وقد أطلق الدكتور السعران على الأخير ارتكاز الجملة Sentence stress ، ويوضح الدكتور حسان النوع الأخير فيقول : إما أن يكون تأكيدياً أي رفعة الهواء أقوي وأعلي من التقريري وإما أن يكون تقريرياً ، (وهذان وصفان لا يمكن أن نصف بهما نبر الصيغة) . وأي مقطع في المجموعة الكلامية سواء كان في وسطها أو في آخرها صالح ؛ لأنه يقع عليه مثل هذا النبر . والمسافة بين كل نبر في الكلام المتصل متساوية ، وهذا ما يسمي بالإيقاع . ارجع إلى : الدكتور تمام حسان : مناهج البحث في اللغة مكتبة الأنجلو ، 1955م =

النبر الصرفي

ويعرف بنبر الصيغة لتعلق النبر بها ، فالنبر من اختصاص الميزان الصرفي أو البناء ولا يختص بالمثال . ومثال ذلك بناء فاعل ينبر المقطع الأول منه وهو "فا" ص ح ح ؛ لإظهار بناء الصيغة ، وينبر كل مثال جاء على هذا الوزن مثل : قاتل ، سارق ، نائم . يقع النبر على ما يقابل المقطع الأول في بناء " فاعل " و"مفعول" يقع النبر على العين في مثل : مقتول ، مضروب ، لإظهار صيغة المفعول .

ويقع النبر على التاء في بناء " مستفعل " في مثل : مستدرك ، مستخرج[1].

ويعد النبر فونيماً في الكلمة ؛ لأنه يؤدي وظيفة في دلالتها ، فهو يفرق بين نطق ونطق، وقد يبرز وظيفة عنصر من عناصرها في النطق ، فاللغة العربية تلجأ إلى نبر "ألف الاثنين" في مثل: كتبا – استطاعا ، لإظهار وظيفة ألف الاثنين في الجملة وحتى لا يلتبس ذلك بصيغة الماضي استطاع (بالفتح القصير) ، وقد دل نبر المقطع الأخير من الكلمتين على أن الفاعل ألف الاثنين .

ومثال ذلك في الأسماء مسلمو أوربا ، " كتابا محمد" ونلاحظ أن النبر وقع على الواو وألف الاثنين ، ولكنه لم يقع على المقطع الأخير في مثل : كتبوا ؛ لأن واو الجماعة أو الضم الطويل ، لا يلتبس بحركة الماضي (الفتح) في كتب ، ولكن واو الجماعة تنبر في الأسماء في مثل: مسلمو أوربا ، ومعلمو الجامعة ؛ لأن الواو تلتبس بحركة الضم في " معلمُ الجامعة " . ومثل: مسلمي أوربا ، ومعلمي الجامعة ، وهذا يختلف عن النبر الواقع في كلمة : ملتقى ، الذي يقع على التاء .

ويفرق النبر بين دلالة الكلمات ، مثل : "أسدّ ، وأسدَ ، كلمة "أسدّ" (من السداد) ،

= ص 160–162 . والدكتور محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . دار المعارف 1962م ص 208 ، 209 والدكتور عبد الكريم مجاهد الدلالة اللغوية ، دار الضياء . ص 172 .

(1) ارجع إلى : مناهج البحث في اللغة ص 160 – 162 ، وعلم اللغة ص 208 ، 209 . والدلالة اللغوية . ص 172 .

وكلمة "أسد" (اسم الحيوان) تتشابهان – عند الوقوف عليهما بالسكون ، ولا يكادان يتميزان عن بعضهما بعضاً إلا بموضع النبر ، فالنبر في الأولى وفي كل كلمة تنتهي بمقطع عنقودي يقع على المقطع الأخير، ويقع في الكلمة الثانية (علم الأسد) على المقطع الأول .

ثانياً ـ نبر الجملة

يعرف نبر الجملة عند بعض العلماء بالنبر السياقي أو ارتكاز الجملة [1] Sentence stress ، وهو النبر الذي يقع في الجمل وليس على الكلمات .

وهو النبر الذي يشارك في دلالة الجملة عن طريق سياق الأداء ، وهو أيضاً يقع في نطاق مقاطع الكلمة ، لكن دلالة التركيب تؤثر في موقعه من كلمات الجملة .

ويتمثل نبر الجملة في عنايتنا بنطق لفظ فيها أو حرف وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيداً من قوة الصوت في الأداء ؛ ليؤدي دوراً وظيفياً في التركيب يؤثر في دلالته ، ويساهم في دلالة التركيب على النحو الآتي :

---

(1) ارجع إلى الدكتور تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ص 163 ـ والدكتور السعران ص 209 ـ والدكتور حسان اختار نبر السياق ، ووضع الدكتور السعران مصطلح ارتكاز الجملة ، وأري أن ما وصفه الدكتور تمام من دلالة التأكيد ، والتقرير ، يرتبط بالإيقاع وليس بالنبر ، وهو ما سوف نتناوله بالتفصيل ، والدكتور مجاهد تابع الدكتور تمام في ذلك ، واتخذ له أمثلة من الخطاب المنطوق مثل : "هل نجح أخوك في الامتحان ؟" تنبر كلمة " نجح " تدل على الشك من المتكلم في وقوع النجاح أي أن الشك واقع على النجاح . وأما نبر كلمة " أخوك " ، فتدل على الشك في إحرازه من قبل أخي المخاطب ، فهو غير متوقع منه . وكذلك قولنا : " أأنت قلت ذلك ؟" فنبر "أنت" تدل على الشك في القائل . ونبر "قلت" يدل على الشك في القول . والأمر لا يختلف في التقرير أو التأكيد ، فقد تريد أن تؤكد أنه القائل أو تقرر أن القول قد حصل أو العكس . حسب نبر الكلمات في الجملة ـ الدلالة اللغوية ص 173 .

أ- التفريق بين معني ونقيضه ، مثل : [1]

- هذا ما قلته . (الجملة منفية)

- هذا ما قلته . (الجملة مثبتة)

وقع النبر على " ما " في الجملة الأولي ، فأبرز دلالتها في التركيب ، فأعطت معني النفي ووقع نبر الجملة في الجملة الثانية على "قلته" ، فدل على أن ما اسم موصول بمعني الذي ، فأصبح معني التركيب (هذا الذي قلته) ، وقد شارك السياق الأدائي في تحقيق الدلالتين .

ب- إظهار بعض الكلمات والأدوات في الجمل مثل : مثل أدوات الاستفهام والنداء وأدوات النفي والنهي ، فالنبر يقع عليها لإظهار وظيفتها في التركيب ، مثل :

"لا تخرج من هنا" ، "لم يذاكر على دروسه" ، "ما ذاكر على دروسه" ، هل ذاكر على دروسه ؟ . وقع النبر في هذه التراكيب على : لا ، لم ، ما ، هل ، ويقع النبر في الجملة الشرطية على الأداة ، مثل : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: 78] .

ويقع النبر في الجمل الإنشائية على الكلمات الطلبية أفعالاً وأسماء ، أفعال :

"توكل على الله" ، "حذار من السرعة" . ويقع النبر على أداة النداء لإظهار وظيفتها الدلالية مثل : " يا محمد " . وهذا ليس مطرداً في جميع الجمل ، فقد تنبر كلمة فيها ابتغاء دلالة منها مثل : "نجح محمد ؟ " بنبر نجح للاستفهام ، وقد ينبر محمد للدلالة على الاستنكار أو السخرية ، ويشارك في ذلك التنغيم والسياق الخارجي .

جـ - تحديد المعني المراد ، والإخبار عنه ، مثل : "محمد في الدار" . جواب لسؤال : "أين محمد "؟. وقع النبر على الخبر ؛ لأنه هو المستفهم عنه والمراد الإخبار عنه . ويمكن الاستغناء عن المعني المعروف من كلام سابق ، دون المعني المستفهم عنه والذي وقع عليه

---

(1) نبر الجملة يقع على الكلمة من خلال وضوحها الصوتي في الأداء . بينما نبر الكلمة من خلال وضوح أحد مقاطعها في الأداء . والنبر الواقع في الجملة يعد نسبياً ؛ لأنه تقييم لأحد كلماتها ، أما نبر الكلمة ؛ فيرتبط بقواعد المقاطع في الأداء ودلالتها ، وهو نبر ثابت خلاف نبر الجملة الذي يعتمد على المراد من دلالتها .

النبر أو المعني المستفاد من الإخبار مثل : "من السارق" ؟ الجواب : "عزيز" . وأصل الكلام : "السارق عزيز" . ويحدد نبر الجملة الظرف اللغوي الذي قيلت فيه والأدوات المستخدمة ، وصيغ الطلب .

ويقع النبر في الجمل الإخبارية حسبما تقتضي الدلالة أو المعني المراد ، مثل : "نحن أبناء العروبة" . المراد الافتخار بالذات ، فوقع النبر على المبتدأ " نحن " ، ويقع النبر على الخبر للدلالة على تأكيد الانتماء القومي . وليس النبر وقفاً على المبتدأ في جميع التراكيب . ويقع النبر في التركيب الفعلي الإخباري على الجزء المراد به المعني ، مثل : "أكل محمد التفاح" . وقع النبر على المفعول به ، لأنه المراد في الإخبار تنبيه المتلقي . ومثل: "قتل اليهود المصلين" . المراد إثارة المشاعر و التنبيه إلى شناعة الفعل ، فوقع النبر على المفعول (المصلين) .[1]

ويقع النبر في : "فتح عمرو بن العاص مصر" . على الفاعل ، لأنه المخصص بالإخبار . وعندما يريد المتكلم ، تأكيد المعني باستخدام الأداة يقع النبر على الأداة ، مثل : "ليبق كل في مكانه" . "إنّ العلم نور" [2] . ويساهم نبر الجملة مع التنغيم في نقل دلالة الجملة الإخبارية التي تخلو من أداة الاستفهام إلى معني الاستفهام في الأداء مثل جملة "نجح محمد ؟ " التي تعني الاستخبار بـ " هل " . ويشارك السياق المقالي والحالي النبر في تحقيق الدلالة المقصودة .

---

(1) ارجع إلى : الدكتور محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي . دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال ، الفصل الثالث .

(2) يطلق اسم "النبر القوي" emphatic stress على النبر الذي يشارك في الدلالة على التأكيد والدلالة على الانفعال emotional stress

التنغيم : Intonation [1]

التنغيمات أو التنوعات التنغيمية intonation tones مستوى الصوت في الأداء ، ارتفاعًا وانخفاضًا واعتدالاً للدلالة على أمر نسبي ، يتطلبه المعنى المراد من السياق اللغوي ، أو توزيعات مستويات الصوت في الكلام المنطوق المتتابع ، أو تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة منها ، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل ، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة .

ويظهر التنغيم من خلال التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني، ويستطيع المتكلم التعبير عن مشاعره وأفكاره من خلال التنغيم دون تغيير شكل التراكيب والكلمات ؛ لأن التنغيم يرتبط بالأداء الصوتي ، ولهذه عرفه الدكتور محمود السعران بأنه :

" المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر voice Pitch في الكلام " [2].

(فالتنغيم في اللغة المنطوقة تغييرات موسيقية تتناوب الصوت من صعود إلى هبوط أو

---

(1) دراسة الصوت اللغوي ص 229 .

قسم الدكتور تمام حسان التنغيم إلى نوعين ، وهما : النغمة الهابطة Falling tone ، وهي النغمة التي تتجه من أعلي إلى أسفل على آخر مقطع وقع عليه النبر ، والنغمة الصاعدة Rising tone ، وهي التي تتجه من أسفل إلى أعلي على آخر مقطع وقع عليه النبر " . اللغة العربية مبناها ومعناها . ص 226 .

والنغمة الهابطة تستعمل في التقرير لتفيد أن الجملة قد انتهت وأن المعني قد تم . والنغمة الصاعدة تدل على أن الكلام بحاجة إلى إجابة ، وغالباً يكون استفهاماً . والنغمة المسطحة وهي التي تحدث قبل تمام المعني والتي تشير إلى استمرار الكلام ؛ لأنها لا تحتمل هبوطاً ينتهي بها الكلام أو صعوداً يحتمل الإنشاء أو الطلب.

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ ﴾ [القيامة: 7-10] . ارجع إلى تمام حسان : اللغة العربية مبناها ومعناها ص 226 .

(2) علم اللغة ص 210 .

انخفاض إلى ارتفاع تحصل في كلامنا وأحاديثنا لغاية وهدف ، وذلك حسب المشاعر والأحاسيس التي تنتابنا من رضا أو غضب ، ويأس ، أو أمل ، وتأثر ولا مبالاة ، وإعجاب أو استفهام ، وشك أو يقين ، ونفي أو إثبات ، فنستعين بهذا التغيير النغمي الذي يقوم بدور كبير في التفريق بين الجمل ، فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار ، ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات ، وهكذا[1] .

وهذا الدلالات تتحقق من مشاركة النبر التنغيم في الإيقاع في عملية الأداء الصوتي .

والدكتور تمام حسان يبين تلك الدلالات فيقول: " إما أن يكون تأكيدياً أي رفعة الهواء أقوي وأعلي من التقريري ، وإما أن يكون تقريرياً "[2] .

ويشير ابن جني إلى دور التنغيم في قلب دلالة التركيب التي قد تفهم من دلالته المباشرة إلى دلالة أبعد ، وأقوي في التأثير ، ومثال ذلك : " لفظ الاستفهام إذا ضامه معني التعجب استحال خبراً ، وذلك قولك : مررت برجل أى رجل ! فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ، ولست مستفهماً وكذلك: مررت برجل أيما رجل ؛ لأن ما زائدة ... وكقول الله سبحانه: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة: 116] إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً أي ما قلت لهم "[3] .

وهذه الجمل تعتمد على السياق الحالي ؛ لأن سياق المقال يعطيها دلالة غير تلك المستفادة من التنغيم وسياق الموقف ، ومثال ذلك قولك لمن جاء متأخراً معاتباً إياه : "أأنت جئت ؟" فرده سيكون اعتذاراً عن التأخير ، وليس بالجواب : نعم أنا جئت . لأن هذا لا يحتمل سؤالاً ؛ لأن حضوره يغني عن طرح هذا السؤال ، وإن أجاب ، فليس المراد من جوابه الإخبار بالمجيء ، بل المراد به التقرير أو السخرية أو الاستهجان .

---

(1) الدلالة اللغوية ص 178 دراسة الصوت اللغوي ص 230 .

(2) مناهج البحث في اللغة ص 163 .

(3) ابن جني : الخصائص 3/ 269 . ويفسر ذلك ابن جني فيقول : أصل الاستفهام الخبر ، والتعجب ضرب من الخبر ، فكان التعجب لما طرأ على الاستفهام ، إنما أعاده إلى أصله من الخبرية " .

ومثال ذلك أيضاً قول الحق تبارك وتعالى معاتباً عباده حكاية عن يوم القيامة: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يس: 60] فهذا لوم وتوبيخ وإن أقروا بقولهم نعم وهو المستفاد من الأداء وسياق الحال .

وتتبين دلالة التركيب عن طريق أداء التركيب صوتياً ، وتتابع النغمات الموسيقية والإيقاعات في حدث كلامي معين ، وهو الإطار الصوتي الذي تؤدي به الجملة في السياق أو الأداء الموسيقي للكلام ومستواه من ناحية الاعتدال والارتفاع والانخفاض أو التنوع .

ويحقق التنغيم دلالة سياقية تعتمد على العالم الخارجي ، مثل كلمة " نعم " ، فدلالتها تتحقق في الخطاب المنطوق من خلال الأداء : فهي تعطي دلالة الموافقة في المستوى العادي للأداء ، في مثل : "أأنت مسلم ؟" – " نعم " . كما أنها تعطي دلالة التهكم والسخرية أو الاستنكار في مثل : أريد حافظة نقودك ! نعم !

والتنغيم يحدد المراد من دلالة الجملة أيضًا ، ويشارك في ذلك السياق الخارجي أو سياق الموقف ، مثل قول عبد الناصر في خطاب المنشية للجمهور منفعلاً : "فليقف كل منكم في مكانه !" فالأمر قد يعطي دلالة التهديد مثلما يقول ضابط للص : قف مكانك ! . كما أن الجملة قد تعني القيام من جلوس ، ولكن سياق الموقف أفاد أن المراد لزوم السكينة أو الهدوء ، بعدما ساد الاضطراب عقب إطلاق النار عليه .

ويؤدي التنغيم وظيفة تحديد دلالة بعض الجمل النحوية مثل : توجيه الإعراب ، ومثال ذلك "كم" التي تستخدم في الإخبار أو الاستفهام ، وهذا يتوقف على طريقة الأداء ، وعلى هذا يوجه إعراب كلمة "عمة" في قول الفرزدق :

كم عمّةٍ لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عشاري

فقد رويت "عمة" بالرفع والنصب والجر ، فالرفع على أن المراد من كم عدد المرات : كم مرة عمة لك يا جرير ... والنصب على معني الاستفهام ، والجر على معني الخبر[1].

---

(1) الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : الجمل في النحو ، تحقيق دكتور على توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1402هـ ، 1984م ص 137 . والإيضاح للقزويني . مؤسسة المختار ص 133. وديوان الفزدق جـ1/ 361 ، والمقتضب جـ3/ 58 .

ويقوم التنغيم بتحديد المراد من أساليب الإنشاء كالأمر في مثل : قف مكانك! ، والاستفهام في مثل : ماذا تريد ؟ والتعجب في مثل : ما أجمل سيارتك ! والنداء في مثل : لا يا أخي !. ويشارك في تحديد دلالة تلك الأساليب سياق الموقف .

والتنغيم مثل النبر يقع في الخطاب المنطوق ، ويقابله في الخطاب المكتوب علامات الترقيم مثل الفواصل (الوقفات) التي وضعها العلماء بين الكلمات لمعرفة دلالات الجمل " غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعني الوظيفي للجملة " [1].

والتنغيم يرتبط في الأداء بالحركات الجسمية ارتباطاً أكيداً لما لها من مشاركة فعالة في معاونة التنغيم في تحقيق الدلالة المقصودة ، فالحركات الجسمية تشارك في النبر على نحو ضيق ، ولكن يتسع ذلك في التنغيم ، وقد أشار إلى تلك المشاركة ابن جني بقوله " ... وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنساناً ! وتزّوي وجهك وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مبجلاً أو نحو ذلك " [2] ، وغير ذلك من الحركات الجسمية التي تصاحب الحديث .

المفصل Juncture

المفصل (أو الوقفة) : ويسمي كذلك الانتقال transition عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما ، وبداية آخر [3]. أو الفواصل التي تفرق بين حدود أصوات اللغة وكلماتها ويدخلها فيها

---

(1) تمام حسان : اللغة العربية مبناها ومعناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973م . ص 236 .

(2) الخصائص 2/ 371 . وقد وجد العلماء صعوبة في وضع ضوابط للتنغيم ؛ لأنه يعتمد على القرائن الخارجية المصاحبة لعملية الأداء ، والتي تتطلب ملاحظة دقيقة ، كالعلامات التي تظهر على الوجه ، وحركة الأيدي ، ومراعاة السلوك عامة ، وهذه الأحوال تختلف باختلاف الطبائع والثقافات ، إلى جانب ارتباط ذلك بالموقف الحالي . ارجع إلى كتابنا الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو ط1 / 1422 هـ ص 9، 10.

(3) ماريو باي : أسس علم اللغة ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ص 95 .ويعد الوقف صوتاً فوق قطعي ، وهذا الصوت يوضح الحدود الإعرابية بين الكلمات في التركيب أو الجملة . والمفصل غير الفاصلة ، فالأول بين الأصوات وليس له رمز ، والثاني بين الكلمات المكتوبة وله رمز (،) .

كذلك وقفات المعاني أو الوقفة التي تؤدي معنى كالتأكيد ، والإعراض والغضب ، والموافقة .

ويتبين المفصل في الخط في الفراغ بين الكلمات أو المسافات التي تترك بين الكلمات ليعرف أين تنتهي الكلمة ، ويتبين ذلك في الأداء الصوتي في الوقفات أو السكتات بين الكلمات التي تبين علامات الإعراب .

وتنقسم الوقفات على ثلاثة أنواع :

1- الوقفة الضيقة الداخلية أو الوقفة المغلقة : close juncture

وهي عبارة عن الانتقال الهين أو غير المقصود بين الفونيمات القطعية أو الانتقال من صوت إلى صوت في الكلمة ، والوقفة تفصل بين أصوات الكلمة وتحددها . وليس لها رمز في الخط .

2- الوقفة المفتوحة الداخلية: Open internal Juncture

وهي الوقفة التي تفصل بين الكلمات ، وتظهر عليها علامات الإعراب في التركيب ، ويرمز لها بالعلامة (+) التي توضع بين كلمات الجملة في الخط لتفصل بينها. وهي من اصطلاحات علماء الأصوات، ولا تستخدم في عموم الكلام والكتابة .

3- الوقفة المفتوحة الخارجية: Open external Juncture

وهي التي تحدد نهاية النطق ، أو هي الوقفات التي تتحقق بتمام المعني والوقوف عليه ، ويرتبط هذا النوع بنهاية الجمل ، ويرمز لها بثلاث علامات تشير إلى مستويات الصوت أو طبقة الصوت Pitch :

الأولى : " ↑ " تشير إلى ارتفاع طبقة الصوت في الجمل الإنشائية .

الثانية : " ↓ " تشير إلى انخفاض طبقة الصوت ونهاية الكلام والسكوت عليه ، وتأتي غالباً في الجمل التقريرية التي ينتهي بها الإخبار .

الثالثة :"→" تشير إلى مستوي طبقة الصوت المتوسط واستمرار الكلام واتصاله ،

وتأتي بين الجمل المتصلة بسياق واحد .

ويتبين أثر الوقفات الداخلية في الدلالة من خلال قول الشاعر : [1]

إذا ملـــــــك لم يكـــــــن ذا هبـــة فدعـــه فدولتـــه ذاهبـــة

فذوهبة بمعنى صاحب هبة ، والثانية من الفعل ذهب ، فوقع بينهما جناس لتشابه الأصوات ، ولكن الفصل بين " ذى" و " هبة" فرق بين الأولى والثانية ، ومثله من الشعر الحديث : [2]

ضربـت البـاب حتـى كـلّ متنـي ولمـا كـلّ + متنـي كلّمتنـي
فقالـت لي : يـا إسـماعيل صـبرى فقلـت لهـا أيـا أسـما + عيـلَ صـبري

نلاحظ أنه لا فرق من الناحية الأدائية بين كلمتي : كلّ + متني ، و " كلمتني" من حيث السماع، ولكن العلامة (+) هي التي بينت الفارق في الخط أنهما يختلفان من حيث الدلالة ، فالأولى بمعني ضعفت قوتي ، والثانية بمعني حدثتني ، ونجد تشابهاً صوتياً بين : إسماعيل و أسما + عيل .

ولكن يوجد اختلاف في الدلالة ، فالأولى علم على شخص ، والثانية كلمتان : "أسماء" التي يخاطبها الشاعر ، و"عيل" بمعني تعب وكلّ . والوقفة الداخلية المفتوحة أو الواسعة (+) ظاهرة صوتية .

وتشارك العناصر الصوتية الأخري الوقفات في تحديد الدلالة ، فالوقفات وحدها قد لا تكفي لإظهار المعني ، ومثال ذلك :

- أماتَ : كلمة واحدة ، فعل ماض .

---

(1) البيت لأبي الفتح البستي ، أوردهما محمد بن علي الجرجاني في الإشارات ص290 ، وذكره القزويني في الإيضاح ص324.

(2) ارجع إلى : دراسة الصوت اللغوي ص 231 وأسس علم اللغة ص 95 وعلم اللغة المبرمج ص 161 ، 162 . والبيتان للشاعر إسماعيل صبري .

- أماتَ ؟ : همزة الاستفهام + مات ، كلمتان .

وهما يتشابهان في الكتابة ، وينطقان دون وقفة بين الهمزة ومات . ولكن التنغيم في الأداء الصوتي هو الذي أعطي الثانية معني الاستفهام .

وترجع أهمية الوقفة في اللغة العربية إلى أن السامع قد لا يفهم المراد من الكلام إذا لم يراع المتكلم الوقوف على نهاية الكلمات ؛ لبيان المراد مثلما يقف المتكلم عنه رؤوس المعاني لتأكيدها وإظهارها للسامع ؛ ومثال ذلك قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه ليت ما حل بنابه

إن دلالة هذه البيت لا تتضح للسامع إن لم يفصل المتكلم بين "بنا " و"به" في الشطر الثاني ، فيقول : بنا + به . وإلا التبس الأخير بنابه في الشطر الأول . ومثال ذلك أيضاً قول الشاعر:

من علم الخود ضرباً بالنوى + قيسى

لو لم تحدث وقفة بين (النوى) و (قيسي) تشابهت مع (النواقيس) في السمع ، فالوقوف على الكلمات تامة المعني يدفع الخلط الذي قد يقع من الوقفات غير الصحيحة ، فقد يؤدي الخلط في أماكن المفصل إلى تغيرات تاريخية مثل الفعل "جاب" في العامية ، والذي يعني "أتي بـ" في مثل : "جاب الأكل" . والأصل الصحيح : جاء بالأكل . والتي مرت أولاً باختفاء الهمزة من النطق ثم : جا بالأكل . ثم الوقف على الباء وقفاً داخلياً مفتوحاً فالتصقت بجا ، فصارت جاب + الأكل .[1]

وهذا نوع من الفصل الخاطئ أو الوقف الخاطئ ، ومثال ذلك في العامية أيضاً: عقبال + عندكم . فالأصل الصحيح : عقبى لكم .

ومثال ذلك أيضاً : مالي ، مالك ، مالهم . يعتقد المتكلم أن "مال" كلمة واحدة .

---

(1) دراسة الصوت اللغوي ص 232 ، والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص 145 ، وقد أطلق الدكتور رمضان على ذلك اسم "الفصل الخاطئ" .

والصحيح أن "ما" اسم موصول بمعني الذي ، واللام حرف مضاف والياء في "لي" مضاف إليه وكذلك الكاف ، وهم .[1] ومن الوقف الخاطئ من قرأ: سل سبيلا في قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان: 18] .

والوقفة المفتوحة الخارجية هي التي تقع في نهاية النطق ، وهي التي تظهر قبل السكتة وتحدد نهاية النطق . والأصوات القطعية (الصوامت ، والصوائت) تظهر طويلة في النطق قبل الوقفة .

وهذه الوقفة النهائية Terminal juncture تحدث تغييراً في طبقة الصوت Pitch مثل: هل أنت ذاهب ؟(↑) يرتفع الصوت في نطق آخر كلمة ؛ ليعطي علامة مميزة للاستفهام ، ولهذا يوضع الرمز (↑) للإشارة إلى طبقة الصوت العالية ، والعلامة (↓) يرمز بها للوقفة النهائية التي تنتهي بها جملة التقرير Statement، ومثال ذلك : "أنا ذاهب إلى المسجد (↓) ".

وتصحب هذه العلامة غالباً الجمل الإخبارية التي أتت جواباً لجمل إنشائية ؛ لأن بها تمام المعني .

وأما النوع الثالث من الوقفة النهائية لا يتضمن ارتفاعاً ولا انخفاضاً في طبقة الصوت بل يتضمن طبقة مستمرة Sustained التي ترمز إلى استمرار الكلام أو تطلب بقية له ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المعارج: 40-41] .

نلاحظ أن المعاني متصلة في الجملة حتى النهاية ، ومثال ذلك : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ (↑) ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ (←) ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق] (↓)

نلاحظ أن الآية الأولي إنشائية ، فانتهت طبقة الصوت فيها مرتفعة (↑) ، والآية

---

(1) ارجع إلى التطور اللغوي ص 145 ، 146 ، 147 .

الثانية جواب الأولى ، وقد انتهت بمستوي يدل على استمرار طبقة الصوت (⟵) ، لأن الآية التي تلتها (الجملة الوصفية) ارتبطت بها في المعني ومتممة لها ، ولهذا جاءت الوقفة النهائية هابطة لتمام المعني في الثالثة (↓) . وهذا يبدوا واضحاً من أداء القراء هذه الآيات الكريمات، والله أعلم .

وقد يؤدي اختلاف الوقف بين الجمل إلى اختلاف الدلالة واختلاف في الإعراب أيضاً مثل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ⟵ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ⟵ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ↓ ﴾ [البقرة]

وقد نقرأ :﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ↓ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ↓ ۝ ﴾

لاشك أن اختلاف القراءتين يعقبه اختلاف في الإعراب والدلالة وكذلك قوله تعالى: ﴿ ...بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝ ⟵ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ↓ ۝ ﴾[القدر].

نقرأ أيضاً ﴿ ...بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝ سَلَٰمٌ ⟵ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ↓ ۝ ﴾[1].

وتشارك الوقفات النغمات في الدلالة على الاستفهام في الجمل التي لا توجد بها أداة الاستفهام ، والتي تعطي من ناحية الشكل معني (الإخبار) ، ولكن الأداء الصوتي يعطيها دلالة الاستفهام مثل قول عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ↑ عدد النجم والحصى والتراب ↓

إن لم يقرأ القارئ جملة :" قالوا تحبها" بنغمة صاعدة ووقف عليها فلن تعطي هذا المعني الاستفهامي .

طبقة الصوت Pitch

هي مستوي الصوت في الأداء من حيث الحدة والغلظة ، للدلالة على أمر نسبي يتطلبه المعني المراد من السياق اللغوي .

---

(1) ارجع إلى : الزمخشري : الكشاف، مكتبة مصر، جـ1/ 34، 35 .

وتشارك طبقة الصوت في الدلالة من خلال ارتباطها بمشاعر المتكلم وقصده من الخطاب وسياق الحال [1] وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنبر والتنغيم ، فأعلي مستوي من مستويات طبقة الصوت يقع فيه النبر ، ويقع فيه أعلى مستوى تنغيمي .

وهناك أربعة مستويات لطبقة الصوت يمكن ملاحظتها في الأداء الصوتي :

1- المستوي المنخفض ورمزه (1) ويستخدم هذا المستوي في الخطاب على مسافة قريبة جداً ، مثل الحديث بين اثنين متجاورين ، لا يسمعهما ثالث.

2- المستوي المتوسط ورمزه (2) ، ويستخدم هذا المستوي في الخطاب داخل مكان ضيق كحجرة ، وهو المستوي الذي يستخدمه الأصدقاء ، وأفراد الأسرة في الأماكن المغلقة كالبيت حيث لا يتطلب التواصل رفع الصوت، ويعد هذا المستوي هو الأكثر استخداماً ؛ لاستخدامه في الحديث اليومي في الظروف الطبيعية .

3- المستوي العالي ورمزه (3) ، ويسمي أيضاً المرتفع ، وهو المستوي الذي يستخدم في القاعات الواسعة ، والأندية ، وهذا المستوي يستخدمه خطباء المحافل والمساجد والمحاضرون في قاعات واسعة ، ويستخدم في الخطاب الموجه إلى جمهور كثير العدد بهدف التأثير والإبلاغ .

4- المستوي الأعلى ورمزه (4) ويستخدم في حالات الانفعال الشديد أو في خطاب جمهور على مسافة بعيدة جداً،فيرفع المتكلم صوته كي يبلغ متلقيه .

والمتكلم قد لا يتبع مستوي واحداً في الخطاب بل قد يجمع بين بعضها ، فيحدث نوعًا من التذبذب في مستوي الصوت أو تلوينًا صوتيًا يؤثر في المتلقي ويثيره ، فالتنوع الصوتي يحرك المشاعر كما أنه يجذب المتلقي إلى المتكلم ، ويحافظ على عملية التواصل واستمرارها لفترات طويلة ، كما أن تنوع الصوت يشير إلى تنوع المعني واختلافه ، فاستمرار طبقة

---

(1) ارجع إلى : الدكتور محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي ، دراسة لغوية في ضوء نظرية الاتصال ص 160 .

الصوت على درجة واحدة تسأمه النفس وتمل النمط المألوف .

وقد تدل طبقة الصوت على الحالة النفسية للمتكلم وتكشف عن مقاصده ، ولا شك أن الحركات البدنية والعوامل الصوتية الأخرى تشارك جميعها طبقة الصوت في توضيح مقاصد المتكلم.

ويمكن توضيح مستوي طبقة الصوت في الخطاب كالآتي :

- الجمل الإخبارية تتجه فيها طبقة الصوت من أعلي إلى مستوي الهبوط مثل :

أكل + على + التفاح↓

2 2 3

نلاحظ أن نبر الجملة يقع على " أكل " ، وقد بلغ مستوي طبقة الصوت عند هذا الفعل المستوي العالي ، لنعلم من ذلك أنه المراد بالإخبار في السياق ، ونلاحظ أنه لو وقع نبر الجملة على " التفاح " واتجه السهم إلى أعلي لعلم أن المراد التعجب أو الاستفهام، مثل :

أكل + على + التفاح ؟!↑

3 2 2

لقد ارتفعت طبقة الصوت إلى المستوي العالي في أداء " التفاح " صوتياً ، فتحول المعني من الإخبار إلى الاستفهام ، وهذه الدلالة يشترك فيها النبر والتنغيم إلى جانب السياق الحالي .[1]

وتؤدي طبقة الصوت دوراً مساعداً في الجمل الإنشائية ، فالمستوي الأعلى يقع على أدوات الاستفهام وأفعال الطلب .

---

(1) ارجع إلى : الدكتور محمود عكاشة : لغة الخطاب السياسي في مصر ص 155 .

مثل : هَل + نجح + على ؟ ↑

2 2 3

ومثل : اقَبض + عليه ↑

2 3

لقد وقع النبر على " هل " و" قبض " كما بلغ المستوي العالي في الصوت . والوقفة النهائية تمثل ارتفاعاً في طبقة الصوت .

***